دار الحديث الأشرفية

والمتحف العربي بدمشق

بعنوان « الخالدي » نشر الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في العدد الثامن والسبعين من « الرسالة » الغراء مجلساً من مجالس الأستاذ الكبير الشيخ خليل الخالدي ، وحسناً فعل ، فان أمثال الشيخ الخالدي بيننا قليل ، ويجب أن ينتفع بمعارفهم ونمرات بحوثهم . وحبذا لو عمد كل من يلقاهم أو يسمع منهم شيئاً إلى تسجيله ونشره ماداموا هم لم يدونوا مذكرات منظمة عن أبحاثهم ، فليس من السهل أن نجد شخصية مثل الشيخ الخالدي غزارة علم وسعة اطلاع ، وإن الانسان ليعجب عند ما يستمع اليه وهو يتحدث عن كتاب نادر ، فيصفه وصف الدارس المطلع ، بل يتجاوز ذلك في كثير من الأحيان فيذكر عبارات الكتاب سرداً عن بديهة . ثم ينتقل من وصف الكتاب الى ترجمة مؤلفه ، فيذكر الكثير من شأنه مما لا نجده في كثير من البحث والدرس ، ثم ينتقل من ذلك الى عصر المؤلف ، وحال الحركة العلمية فيه وما الى ذلك ، فمجالس الشيخ الخالدي شائقة ممتعة نرجو الذين يجالسونه ويستمعون له تدوين مجالسه ونشرها على الناس كما فعل الدكتور عزام

عرفت الشيخ الخالدي في دمشق أواخر سنة ١٩٢٩ ، أيام تردد على دار الكتب العربية ، لذلك لفت نظري مقال الدكتور عزام وقرأته بشغف شديد حتى أتيت على ذكر المدارس في دمشق فاستوقفني قوله : « ومن مدارس دمشق دار الحديث الأشرفية وهي دار المتحف العربي الآن » استوقفني هذا كثيراً لأني أعرف دار الحديث الأشرفية كما أعرف دار المتحف العربي وأن كلا من الدارين غير الأخرى ، فدار الحديث الأشرفية التي بناها الملك الأشرف موسى بن العادل ، ونجز بناؤها سنة ٦٣٠ هـ والتي درس بها جلة من العلماء مثل ابن الصلاح وابن الحرستاني وأبي شامة والنواوي والشريشي والفارقي وابن الوكيل وابن الزملكاني والحافظ المزي والسبكي وابن كثير وغيرهم — هذه الدار لا تزال تؤدي رسالتها في نشر العلم — وعلم الحديث بنوع خاص — الى يوم الناس هذا ، وقد اعتراها شيء من الفتور في أواخر القرن الماضي حتى أرسل الله لها الفقيه الشيخ يوسف البيطار المغربي ، فأعاد اليها حياتها ونشاطها ، ثم تولى شأنها من بعده المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني ، ولا يزال يلقي دروسه في دار الحديث الأشرفية ويحضرها الكثير من كبار العلماء . وأما المتحف العربي في دمشق فهو دار المدرسة العادلية الكبرى التي تقع في مواجهة المدرسة الظاهرية

والمدرسة العادلية التي بناها نور الدين محمود بن زنكي ولم يتمها ، ثم الملك العادل سيف الدين ولم يتمها أيضاً ، حتى أتمها من بعده ولده الملك المعظم ونسبها الى والده الذي دفن فيها فسميت العادلية

كانت هذه المدرسة من أمهات المدارس الخاصة بالشافعية في دمشق [1] كما كانت مقر القضاة فيها

سكنها الكثير من كبار العلماء أمثال ابن خلكان والعلاء القونوي . وأبناء السبكي وابن مالك النحوي وابن جماعة

وفيها ألف ابن خلكان تاريخه المشهور وعلى بابها كان يقف ابن مالك يدعو الناس لحضور دروسه : ينادي هل من متعلم هل من مستفيد ؟ وحول بركة العادلية كان قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان يدور الليل كله حتى الصباح ويقول في دورانه :

أنا . والله هالك آيس من سلامتي
أوأرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ولما أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩١٩ م جعلت مقر المجمع ، وهي الآن تضم المجمع العلمي والمتحف العربي وقاعة المحاضرات التابعة للمجمع . وعلى ذكر العادلية وشغل المجمع العلمي لها أقول : إن المجمع وضع يده أيضاً على المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس ودفن بها هو وابنه الملك السعيد

والظاهرية كانت مدرسة ودار حديث معاً ، درس بها الأذرعي والأخنائي والسويدي والأسدي والزعيني والواسطي

فتسلمها المجمع العلمي العربي وجعلها مقر دار الكتب العربية في دمشق ، وخص القبة الظاهرية المزينة بالفسيفساء البديعة بالمخطوطات المحفوظة في الدار

برهان الدين محمد الداغستاني

(١) كانت في دمشق مدارس لكل مذهب من المذاهب الأربعة كما كانت فيها دور للقرآن ودور للحديث ، ويجد القارئ الشيء الكثير عنها في تنبيه الطالب للشيخ عبد القادر التميمي . ومنادمة الأطلال للشيخ عبد القادر بدران . وفي خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي عضو المجمع اللغوي الملكي بمصر